

أضواء البيان

@ 428 مَّا هَآؤُلَآءِ يَنْطَرِقُونَ { قَالَ { أَفَلَا لَكُمْ عِلْمٌ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } فلما أفحمهم بهذه الحجة لجؤوا إلى القوة ، كما قال تعالى عنهم : { قَالُوا هَآؤُلَآءِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْحَابُ الْآيَةِ الْأُولَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْحَابُ الْآيَةِ الْأُولَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْحَابُ الْآيَةِ الْأُولَى } ونظيره قوله تعالى عن قوم إبراهيم : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنزَلَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } ، وقوله عن قوم لوط لما أفحمهم بالحجة : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنزَلَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ } ، إلى غير ذلك من الآيات . . . وقوله : { سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } يعني لا ينالك مني أذى ولا مكروه ، بل ستسلم مني فلا أؤذيك . وقوله : { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } وعد من إبراهيم لأبيه باستغفاره له ، وقد وفى بذلك الوعد ، كما قال تعالى عنه : { وَأَغْفِرْ لِي وَلِإِبْرَاهِيمَ وَلِلنَّاسِ إِنَّكَ رَحِيمٌ غَفُورٌ } وكما قال تعالى عنه : { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَةِ رَبِّي الذَّبْحَ وَاللَّذِينَ كَفَرُوا لِيَالِدِينَ يُنَادُونَ } . . . ولكن [] بين له أنه عدو [] تبرأ منه ، ولم يستغفر له بعد ذلك ، كما قال تعالى : { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْإِلَهِ إِذْ يَنْتَهِى عَنِ الْعِبَادَةِ قَالَ إِنَّكَ تَدْعُونِي لَعْنَتٍ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعَذِّبُ الْمُجْرِمِينَ } وقد قال تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ } والموعدة المذكورة هي قوله هنا { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } الآية . ولما اقتدى المؤمنون بإبراهيم فاستغفروا لموتاهم المشركين ، واستغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب أنزل [] فيهم { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْإِلْهَامِ } . ثم قال : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ } . وبين في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الإساءة بإبراهيم ، والإساءة الإقتداء ، وذلك في قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُآؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ إِلَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ } ، أي فلا أسوة لكم في إبراهيم في ذلك . ولما ندم المسلمون على استغفارهم للمشركين حين قال فيهم : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْإِلْهَامِ } .

ءَامَنُوكَ أَن يَسْتَغْفِرُوا ° لِلْمُشْرِكِينَ { بِيَّانِ } تعالى أنهم معذرون في ذلك .
لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله ، وذلك في قوله : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا مَّا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ° حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَذَقُّونَ } . . .
وقوله في هذه الآية : { أَرَأَيْتَ أَنتَ عَنِ آلِهَتِي } يجوز فيه أن يكون (راعب)
خبراً